شهداء استعد واللرحيل



تحقیق: غدیر مطر

لم تكن الدنيا لهم، نفضوا عنهم غبارها، تركوها لأهلها ومضوا بخفّة، فرحلوا خاليي الوفاض من كلّ ح ِمل ٍ ثقيل قد ينهكهم في رحلتهم الطويلة نحو الخلود، حيث ن ِعم الجوار. فالزاد كلّ جميل؛ دعوات صادقة وذمّة مبرأة. إنّهم الذين استحقّوا بجدارة رتبة الشهادة.

لمن يقرأ هذه السطور المتواضعة، نعلم أنّكم على دراية تامّة بأخلاقيّات الشهداء، وحرصهم الشديد على ردّ المظالم، وقضاء الدين، وتبرئة الذمّة، وقضاء ما فاتهم من الواجبات العباديّة،... ولكن في ما يأتي، ستتعرّفون عن كثب على قصصهم، المليئة بالعربر والدروس، علّنا نقتدي بهم. كان التفكير بسداد ديونه لا يفارقه لحظة ً، إلى جانب مساعدته لأمّه التي ربّته يتيم الأب، وتخطيطه لبناء حياة زوجيّة هانئة. فقد كان الشهيد عماد جابر شديد الحرص على تسديد ديونه كافّة قبل الشهادة، حتّى حفظت خطيبته جملته التي لطالما ردّدها: "همّي الأكبر أن أسدّد كلّ الديون قبل موتي"، فاختار لنفسه التعب المضاعف، ساعيا ً في عمل آخر إلى جانب عمله الجهاديّ، حتّى استطاع تأدية ما في ذمّته من د َين قبل شهر من حرب تمّوز عام 2006م، فقال حينها لخطيبته: "من الآن صار بإمكاني تجهيز منزلنا، فراتبي الآن صار ملكي".

جهّز الشهيد عماد كلّ مستلزمات منزله الذي لم يسكنه، وقبل مغادرته إلى ساحة المعركة في أحد أيّام شهر تمّوز، طلب من رفيقة دربه الدعاء له بالشهادة: "لقد برّأت ُ ذمّّتي، فلم يبق َ سواك ِ في ذمّّتي، سامحيني إن قصرت"!

•لحظاتكم ليست ملككم

قد يكون تفكير الشهيد مصطفى مزنر غريبا ً لدى بعض الناس، فهل ي ُخيّل لأحد أنّه كان حريصا ً على أن لا ي ُضيّع أيّ دقيقة من عمره القصير، لدرجة أنّه عندما كان يمشي في الطريق، كان يطلب من خطيبته الإسراع في خطواتها، قائلاً: "أسرعي أسرعي، فالحياة قصيرة، يجب أن لا نهدرها في المشي على الطريق وطول المسافات، بل يجب علينا استغلالها بإنجاز أمر مهمّ".

دقّة الشهيد مصطفى وصلت إلى حدّ الاهتمام بأمور دينيّة قد تكون بسيطة ً في نظرنا، ولكنّها عظيمة في أعين من يضع نصب عينيه الشهادة؛ فقد أوصى بإعطاء خطيبته مهرها بعد شهادته، حتّى أنّها تذكر أنّه كان قد أوصاها وأهله أن يطلبوا المسامحة وبراءة الذمّة بعد شهادته، من أيّ شخص يلتقون به، وكان له صلة به، لعلّه قد آذاه يوما ً دون قصد. تذكر خطيبته: "في آخر ليلة قدر أحييناها سوياً، لفتني اهتمامه بأداء أدق المستحبّات، ومنها طلب العلم؛ فقد كان يحيي هذه الليالي المباركة حتّى الفجر من دون تعب".

•على أمل التواصل قريباً

"انكسر إبريق لبن زجاجي" أثناء تنظيفه، وكذلك كوب شاي عجمي" صغير، وصيني"ة بلاستيك. استخدمنا 2 كيلو أرز"، وشاياً، وكيلو سك"ر، و3 رش"ات من البهارات، و3 حب"ات بصل...". هي جزء من لائحة طويلة خُط"ت بأيدي مجاهدين لجأوا إلى منزل المرحوم الحاج أحمد حمزة في بلدة الشهابي"ة الجنوبي"ة خلال حرب تم"وز للضرورة؛ حيث كانوا يسعفون جربحا ً منهم، لم يقو َ على المغادرة مدة ً، لم ي ُغفل هؤلاء الشب"ان حق ساحب الدار، وهم في ساحة المعركة، تركوا له رسالة، ذكروا فيها كل ما اضطر وا إلى استخدامه بالمقادير المفصلة، فأي المجاهدين هم؟! مم"ا جاء في الرسالة: "جانب عائلة المرحوم أحمد حمزة، تحي ق وبعد... لقد اضطررنا في هذه الفترة إلى دخول منزلكم الكريم، والبقاء فيه أياما ً عد ق، وقد دفعتنا الحاجة إلى الاستفادة من بعض المواد الغذائية والأمتعة الموجودة فيه. وعليه، نأمل منكم المسامحة، وعلى أمل التواصل قريبا ""، وينتهي الكلام عند عتبة هذه السطور، التي تخجل حروفها من أمانة مجاهدين حملوا دماءهم الزكية على أكف هم ومضوا غير آبهين بكل مباهج الحياة، واضعين نصب أعينهم هدفا ً أسمى: إم"ا النصر أو الشهادة، ولكن هم، قبل أن يمضوا، طلبوا المسامحة، حت "م يسد "دهم ا و في خطواتهم وت ُقبل شهاد تهم.

•حرص

"كان أو ّل ما يقوم به عند استلام راتبه، هو المسارعة إلى جمعيّة القرض الحسن ليسد ّد القسط المطلوب منه، فقد اضطر ّ لاستقراض مبلغ من المال لإتمام مستلزمات منزله، الذي لم يسكنه. لم يؤخّر قسطا ً، ولم يؤج ّل أو يتراخى في قضاء ما عليه من مستلزمات"، إنتّه الشهيد حسين البرزاوي، الذي تذكر والدته (وهي والدة الشهيد علي البرزاوي) مدى حرصه على تأدية ما عليه من أقساط قبل شهادته. تضيف الوالدة: "في آخر يوم له بيننا، سمعته يطلب المسامحة من والدة خطيبته، فأدركت ُ حينها أنَّه لن يعود"!

•ومضى مطمئنا ً

لا يختلف حال أولئك الشهداء عن حال الشهيد عبّاس عثمان، الذي كان عمله الجهاديّ يفرض عليه أن يغيب لغتراراً وتكراراً وحته بتربية ابنت يه الاثنت ين على خ ُطي أهل البيت عليهم السلام. ولمّا أحسّ باقتراب موعد الرحيل، حرص على تسديد ديونه كافّة، وعمل على قضاء كلّ واجباته الدينيّة، وتبرئة ذمّته، ومضي مطمئنتّاً.

•"أذيب عتبهم بزيارتي"

كثيرة هي قصصهم المفعمة بطيب أرواحهم الطاهرة، والتي لن تفسح لنا السطور القليلة المجال لذكر مآثرهم جميعاً، إلّا بقدر ما يتيسّسر لنا. ننتقل هذه المرسّة للحديث عن الشهيد علي أحمد مطلوم، الذي كان يعمل بسّلاطاءً إلى جانب عمله الجهاديس. تخبرنا والدته، أنسه قرسّر مزاولة عمل آخر، رغم التعب، من أجل تسديد كافسة الديون المترتسّبة عليه. كان حريصاءً على أن يخبر زوجته بكلسّ ما عليه من ديون، ومن قضاء واجبات عباديسة، لإيفائها بعد شهادته، في حال لم يتمكسّن من الإيفاء بها في حياته.

كان حريصا ً للغاية على زيارة أرحامه فور عودته من عمله الجهادي "، أماً عن السبب، فكان يقول: "لعل " في قلب أحد منهم عتب علي " فأذيبه بزيارتي". وتضيف الوالدة أنها استرجعت كل ما كان يحد "ثها به قبل شهادته، فتقول: "كان الشهيد علي " يهي أرواحنا لرحيله، فيوصيني بأولاده، وبالاعتماد على أنفسنا إن استشهد، فهو ابني البكر الذي حل مكان والده بعد وفاته ".

أمّا ابن أخته، الشهيد أحمد فخر الدين، فقد ورث عنه كلّ صفاته الجميلة؛ تذكر الوالدة آخر يوم له قبل التوجّه إلى المعركة، حيث أصرّ على زيارة بيوت الحيّ بيتا ً بيتا ً، وراح يطلب المسامحة من أقربائه وجيرانه.

•البوصلة إلى الطريق الصحيح

هي أرواح خفيفة كالنسيم، زارت دنيانا لتترك آثارها الحلوة فينا، فنقتدي بها وبجميل صنعها. قد نتغافل أحيانا ً عن أذى أحدهم لبساطة السبب، ونؤج ّل تسديد ديون مستحق ّة، ونتراخى في قضاء واجباتنا العبادي ّة لغد أو لبعده، فتأتي هذه القصص لتوقطنا من غفلتنا؛ فالعمر غفلة، يمر ّ سريعا ً دون أن نشعر، وقد يباغتنا الموت فجأة ً، فلا تبقى فرصة للندم ولقضاء ما في ذم ّتنا من حقوق وواجبات. فليكن هؤلاء الشهداء بوصلتنا إلى الطريق الصواب، فلا نؤج ّل قضاء ما علينا من واجبات إلى الغد.

المصدر: مجلة بقية ا□